مكانة المرأة في مجتمعات الطوارق في ضوء المادية التاريخية

*فائز مسعود محمد الشيخي *منيرة إبراهيم حسين إبراهيم

المستخلص: تهدف الدراسة الحالية إلى محاولة تفسير مكانة المرأة في مجتمعات الطوارق من خلال توجه نظري محدد وهو النظرية المادية التاريخية، والتي تربط بين نمط الإنتاج السائد وعلاقته بمستوى تطور قوى الإنتاج ودوره في ظهور التشكيل الاجتماعي بما يتضمنه من تراث ثقافي. وكذلك الإجابة عن التساؤل الرئيس للبحث: هل هناك علاقة بين نمط الإنتاج السائد في مجتمعات الطوارق وما يرتبط به من علاقات ومكانة المرأة فيها؟واتضح من خلال هذه الدراسة باعتبار هذه المجتمعات بيئات صحراوية لم يظهر فيها نمط إنتاج زراعي يسمح بنوع من الاستقرار، وربما ظهور ملكية خاصة لوسائل إنتاج أخرى تسمح للرجل بالاستقرار المكاني وتعزز قوته المادية، يجعل القوة المادية للمرأة في تلك المجتمعات في تزايد بحيث تشعر بنوع من الاستقلال الاقتصادي عن الرجل القائم في الغالب على عامل الأمان الاقتصادي، وسمح للمرأة في تلك المجتمعات بنوع من المشاركة الفاعلة في مختلف أنشطة المجتمع الاجتماعية والثقافية.

مقدمة:

تتمتع المرأة بمكانة مميزة، وتحظى بتقدير عال عند الطوارق، كتجمعات بشرية داخل دول ومجتمعات قد لا تلقى فيها المرأة هذه المكانة وذاك التقدير، وهي الجزائر وموريتانيا والنيجر وليبيا وتشاد ومالي، وبالرغم من احتكاك الطوارق بشعوب هذه المناطق وتعايشهم مع ثقافاتها ، وربما اكتسابهم لبعض عاداتها وتقاليدها، إلا أن بعض جوانب ثقافتهم الخاصة ظلت ثابتة ومستمرة وتوارثتها أجيالهم جيل بعد جيل، بالرغم من تعارضها في بعض الأحيان مع ديانات أو قوانين أو أعراف تلك المجتمعات والدول، ومن تلك الجوانب الثقافية مكانة المرأة عندهم، وما تتميز به من حقوق،" فالطفل عندهم يرث الجاه والثروة عن طريق الأم، والمسكن لها ولأبنائها، وفي حالات الطلاق أو الانفصال عن الزوج، يكفي أن تقف المرأة أمام جموع الطوارق وتعلن رغبتها في الانفصال عن الزوج فقط، وبعد ذلك يتولى الشيخ أو القاضي عندهم إنهاء الطلاق، والذي يحدث في الغالب دون نزاع أو خلاف حاد، وإذا كان الزوج من عشيرتها أو قبيلتها تبقى في القبيلة ويبقى الأولاد معها، وإذا كان من خارج قبيلتها يبقون مع الأب لفترة معينة ثم يلتحقون بأمهم وقبيلتها، وتشير بعض المصادر أن الأبناء في الغالب ينتسبون لقبيلة الأم حتى في حالات استمرار الزواج، ناهيك عن حقوق الملكية وإدارة شؤون الأسرة، والطوارق شعب مسلم يقطن في المناطق الصحراوية في الغالب، ويسود بينهم نمط معيشة قائم على تربية المواشي والرعي والترحال.(ولد النقرة:2014: ص36).

تحديد موضوع الدراسة:

* محاضر، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم المرج، جامعة بنغازي. faiz.massoud@uob.edu.ly
* محاضر، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم المرج، جامعة بنغازي. monira.e.hussain@gmail.com

تناولت دراسات مختلفة تجمعات الطوارق بصفة عامة، ومكانة المرأة في هذه المجتمعات بصفة خاصة، بحسب علم الباحث وجهده ووقته في البحث، وبعد اطلاعه على عدد منها لا يتعدى أصابع اليدين مجتمعتين، بالإضافة لبعض المعلومات حول الطوارق في بعض المؤلفات والتقارير التي تعرضت لبعض الدول التي تتواجد فيها تجمعات الطوارق، وما أشارت إليه بعض الدراسات حول ما تتمتع به المرأة الطوارقية أو التارقية من حقوق وما تلتزم به من واجبات في مجتمعها، لاحظ الباحثان أن ما ينقص هذه الدراسات هو عدم انطلاقها من توجه نظري يحاول تفسير هذا الدور وهذه المكانة المرتبطة به، بالرغم مما قدمته من إسهام في الكشف عن صورة المرأة ومكانتها في هذه التجمعات، وسيحاول الباحث هنا تفسير مكانة المرأة عند الطوارق من خلال ربط نتائج هذه الدراسات بتوجه نظري محدد وهو النظرية المادية التاريخية، والتي تربط بين نمط الإنتاج السائد وعلاقته بمستوى تطور قوى الإنتاج ودوره في ظهور التشكيل الاجتماعي بما يتضمنه من تراث ثقافي. وعليه سيتحدد السؤال الرئيس لهذه البحث في: هل هناك علاقة بين نمط الإنتاج السائد في مجتمعات الطوارق وما يرتبط به من علاقات ومكانة المرأة فيها؟

وسيحاول الباحثان هنا تحليل المكانة التي تتمتع بها المرأة في مجتمعات الطوارق من منظور ماركسي بمعنى انطلاقا من نظرية ماركس ذات الأساس الاقتصادي للمجتمع والتي يركز فيها على نمط الإنتاج الذي يتضمن علاقات الإنتاج وعلاقات الملكية وعلاقتهما بمستوى قوى الإنتاج السائد ودوره في تكوين التشكيل الاجتماعي بما يضمه من أفكار وقيم وعادات وتقاليد أو كما يصفها البعض بالعلاقة بين البناء التحتي (المادي) والبناء الفوقي(الثقافي)، وذلك وفقاً للخطوات الآتية:

1. عرض أهم أفكار نظرية ماركس حول الأساس الاقتصادي للمجتمع.
2. عرض الدراسات التي توفرت للباحثين حول مجتمعات الطوارق.
3. محاولة الوصول إلى النقاط المشتركة بين هذه الدراسات مع التركيز على النتائج المتعلقة بمكانة المرأة في هذه الدراسات.
4. محاولة تفسير هذه النتائج في ضوء نظرية ماركس.

أولاً. نظرية ماركس حول الأساس الاقتصادي للمجتمع:

يمكن تلخيص أهم أفكار نظرية ماركس حول الأساس الاقتصادي للمجتمع فيما يأتي:

1. تعتمد الأفكار والقيم التي يحملها الناس على طبيعة نمط الإنتاج الاقتصادي السائد وتتشكل بموجبه.
2. هناك ثلاثة جوانب للتنظيم الاجتماعي هي: القوى المادية للإنتاج، وعلاقات الإنتاج التي تنشأ عن قوى الإنتاج وتتضمن علاقات وحقوق الملكية الخاصة، والبنى الفوقية " الأفكار وأشكال الوعي الاجتماعي التي تتطابق مع الجانبين الأول والثاني.

3. نمط الإنتاج العامل الأساس الذي يحدد في النهاية كيف تُنتظم المجتمعات، وتغير الأنماط الإنتاجية يقود إلى تغيير جميع العلاقات الاجتماعية.

4. وبالمحصلة فإن نمط الإنتاج وعلاقات الإنتاج – التكنولوجيا وشكل التنظيم الاقتصادي – هما المكون للتشكيلة الاجتماعية والاقتصادية(المجتمع وما يضمه من أفكار وقواعد وعلاقات اجتماعية ومؤسسات ثقافية ودينية وسياسية وحقوقية)(رث وولف،2011:ص149)

وبعبارة أخرى نمط الإنتاج في الحياة المادية يحدد الطبيعة العامة للعمليات الاجتماعية والسياسية والروحية للحياة، حيث يذهب ماركس ورفيقه انجلز إلى أنه داخل الحياة المادية للناس هناك عاملين منفصلين وإن كانا مترابطين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، فقوى الإنتاج هي المهارات والمعرفة والأدوات – وكلها منتجات اجتماعية – توجد في حقبة معينة في المجتمع، أما علاقات الإنتاج فهي الطرق التي تتلاءم فيها العوامل المختلفة للإنتاج وتضمن عوائدها، حيث تتمشى علاقات الإنتاج مع مرحلة محددة من تطور القوى المادية لإنتاج الناس.

5. إن ماركس يصر على أن تاريخ المجتمع هو تاريخ الصراعات الاجتماعية، وأن مفتاح الأشكال السياسية والإيديولوجية يكمن في البناء الطبقي لكل المجتمعات الماضية.

وهكذا تصبح خلاصة النظرية أن قوى الإنتاج تحدد علاقات الإنتاج وهذه بدورها تحدد البناء الفوقي الاجتماعي (الأشكال السياسية والقانونية للمجتمع والنظريات الفلسفية والأخلاقية والقانونية والاقتصادية أو الأيديولوجية في المجتمع.(كامنكا، 2011،ص180).

وعليه يقتضي كل نوع من الأنظمة الإنتاجية مجموعة معينة من العلاقات الاجتماعية القائمة بين الإفراد الداخلين في العملية الإنتاجية، ولا يوجد أذن نوع من مجتمع لم يؤسس على علاقات إنتاج معينة (جيدنز،د.ت،ص99).

6. يوجد دائما فعل متبادل بين العلاقات الاجتماعية وقوى الإنتاج، هذه القوى تُحدد تلك العلاقات التي تولد بدورها حاجات ووسائل جديدة من أجل تلبيتها، فلقد ولد مستوى معين من القوى الإنتاجية العلاقة الاجتماعية للملكية الخاصة التي جمعت هي ذاتها من جديد الشروط من أجل تقدم جديد لوسائل الإنتاج. (جان توشار،ص829).

7. وفقاً لماركس فإن فهم الطريقة التي يقوم بها المجتمع بتنظيم إنتاجه هي المفتاح لفهم البنية الاجتماعية للمجتمع ككل، فالإنتاج كوسيلة للعيش والحصول على القوت، هو الأساس الذي يتم الاعتماد عليه في نشأة مؤسسات الدولة والمفاهيم والمعتقدات والفن

والدين، فالبناءات الاجتماعية لا توجد أو تنشأ بشكل عشوائي، وإنما انعكاس للطريقة التي يتم بها تنظيم عملية الإنتاج بشكل عام في المناطق المختلفة بالعالم وفي أوقات مختلفة من التاريخ، فكل المجتمعات التي وجدت أو حتى الموجودة هي انعكاس لشكل من أشكال تنظيم عملية الإنتاج المختلفة وهي المشاعية البدائية والنظام القديم والإقطاع والرأسمالية والاشتراكية والشيوعية، وبغض النظر عن المشاعية والاشتراكية فلكل منهما نمط في الإنتاج يعتمد على الطبقات.(جونز،2010،ص96).

8. وضع الفرد الذي يقوم به في عملية الإنتاج الاجتماعي يعتمد بدوره على طابع القوى الإنتاجية ودرجة نموها ، والعلاقات بين القوى الإنتاجية من جهة وعلاقات الإنتاج من جهة أخرى، حيث تختص قوى الإنتاج بكل ما يودي إلى الإنتاج، أما علاقات الإنتاج فتتضمن العلاقات القانونية التي نشأت بين الناس بمناسبة الإنتاج وتوزيع الثروة والملكية.(بوتول، د.ت، ص85).

9. نمط الإنتاج هو الذي يخلق السلع المادية الضرورية لبقاء المجتمع، والقوة الأساسية التي تحدد تطور المجتمع وانتقاله من نوع معين من النظام الاجتماعي إلى نوع أخر هو الإنتاج المادي– أعني تطور القوة المنتجة للمجتمع، وقوى الإنتاج هي أدوات أو وسائل الإنتاج التي تنتج سلعاً معينة وكذلك الأشخاص الذين يستخدمون هذه الأدوات والسلع، أما علاقات الإنتاج فهي العلاقات المتبادلة القائمة بين الناس في عملية إنتاج السلع المادية. (ريوس، 2011،ص157).

10. أساس التاريخ هو شكل العلاقات المرتبطة بنمط الإنتاج، فالبيئة تشكل الإنسان والإنسان يشكل بيئته، ومجموع القوى المنتجة والأموال والعلاقات الاجتماعية هي الأساس الواقعي للماهية الإنسانية. (لوفيفر، 2018، ص80).

وخلاصة ذلك: أن قوى الإنتاج والتي تشمل أدوات ووسائل الإنتاج في تفاعلها مع علاقات الملكية لهذه الوسائل تكون نمط الإنتاج ألذ تسوده علاقات الإنتاج بين من يملك وسائل الإنتاج وبين من لا يملك هذه الوسائل، وهذا النمط في تفاعله مع مستوى معين من تطور قوى الإنتاج (التكنولوجيا) يكون التشكيلة الاجتماعية المجتمع بما يسوده من نظم وعلاقات.

ثانياً: عرض الدراسات حول الطوارق:

في هذا الجزء سنقدم عرض لأهم الدراسات والكتابات التي تناولت مجتمعات الطوارق ونمط حياتهم ومكانة المرأة عندهم والتي توفرت للباحثين على النحو الآتي:

1. دراسة(السويدي،1995) والتي بعنوان بناء الأسرة عند بدو الطوارق وهي عبارة عن تحقيق يلخص فيه السويدي أهم ما كتبه الباحثين الانثروبولوجيين والرحالة والمغامرين حول الطوارق في النتائج الآتية:

- الفتاة عند الطوارق تتمتع بجميع المزايا التي يتمتع بها الفتى، كما في معظم الجماعات البدوية، ولهذا يلاحظ أن مستوى تعليمها متقدم على الفتى.
- تتعلم الفتاة عندهم نظم الشعر وإلقائه وروايته بالإضافة لحفظ القران الكريم وصنع الخيمة وأدواتها وبالتالي تعتبر الأمينة على ثقافة مجتمعها.
- لا تتأثر المكانة الاجتماعية للمرأة عندهم عند زواجها من رجل أقل من طبقتها ومكانتها الاجتماعية، كما هو الحال بالنسبة للرجل الذي عليه أن يتزوج من سيده من طبقته أو أعلى منها للحفاظ على مكانته الاجتماعية.
- لا يتزوج بدو الطوارق في العادة إلا في سن متأخرة إذ من النادر أن يتزوج عندهم الرجل قبل سن 30 والمرأة قبل سن 25 سنة.
- عادة ما يتم الزواج عندهم في بيت أهل الزوجة، وتقيم الزوجة عند أسرتها بعد الزواج مدة لا تقل عن سنة ولا تتجاوز الخمس السنوات، حتى تتمكن من تجهيز لوازمها من الفرش والملابس والأدوات، يزورها الزوج خلالها، وقد تصحبها عندما تنتقل معه للعيش عند والديه طفل أو أكثر.
- لا يترتب على الزواج استبدال للأسماء أو التنازل عنها من أحد الزوجين بمعنى لا يوجد لقب عائلي والأبناء عادة ما يحملون اسم أبيهم دون أمهم.
- إذا تزوجت المرأة من قبيلتها فالأولاد ينسبون لقبيلتها، أما إذا تزوجت من خارج القبيلة وتوفي الزوج فإن إلام والأبناء يعودون لقبيلتها، وفي حالات الانفصال يمكث الأبناء فترة معينة مع الأب ثم يعودون نهائياً إلى إلام.
- فيما يتعلق بقضايا الميراث والزواج والطلاق وغيره في نطاق الأحوال الشخصية يخضع بدو الطوارق لقواعد الشريعة الإسلامية.
- عند بدو الطوارق في الصحراء الكبرى يمر الفرد بعدة مراحل اجتماعية تحددها الجماعة خلال مراحل عمره من الطفولة وحتى الشيخوخة وهي:

. خلفة من عمر 2 – 3 سنوات لا يتمتع فيها بأي منزلة اجتماعية.

. أمغول أو المفطوم من 3 – 5 سنوات وفي هذه المرحلة يكون الطفل بعيد عن المسؤولية الاجتماعية وضبط السلوك.

. في سن 6 سنوات يبدأ الطفل من الجنسين في ارتداء نوع من الملابس التي تستر جسده، وتقام له حفلة خاصة ومن هنا يدخل ميدان المسؤولية المحدودة مثل حراسة قطيع الماعز أو مراقبة راعي الماشية أو المشاركة في بعض أنشطة الرجال كالتعرف على المحيط

الخارجي وتعلم القيافة بالنسبة للذكر، ونظراً لأهمية هذه المرحلة في تكوين شخصية الطفل، فإن الطوارق يعترضون بشدة على العقاب القاسي بحق الأطفال، لأنه يكسب الطفل مزاج حاد، وبالتالي فالعقوبة هنا في الغالب هي حرمانه من الحرية بإبقائه في الخيمة فترة من الزمن.

. في الفترة العمرية من 7 – 10 سنوات تتحدد كفاءات الطفل الجسمية، ويصبح قادراً على تحمل المسؤولية، مثل قيادة قطيع من الإبل إلى مورد المياه، أو أن يمسك بأي حيوان ويقوده لمكان معين، باختصار يصبح عنصر فاعل ومنتج من حيث القوة والعمل،

. عندما يبلغ الطفل المرحلة العمرية من 10 – 12 سنة، ففي بعض القبائل يصبح بإمكانه السفر راجلاً أو راكباً إلى المناطق البعيدة (مالي أو النيجر) كما يتعرف على مسالك الصحراء التي تمر بها القوافل، أما إن كان من علية القوم فيمكث مع شيوخ القبيلة ويتعلم منهم تقاليد الكبار.

. المرحلة العمرية 12 – 13 سنة بعد التعود مع التعامل مع الكبار، يبدأ فيها الطفل صوم رمضان وتعد مرحلة البلوغ حيث تقام حفلة عائلية يتلقى خلالها الفتى خنجراً ولثاماً، ويبدأ في استخدام اللثام كعلامة على الرجولة الكاملة، ويصبح من حقه المشاركة الكاملة في مجالس الرجال.

. عند بلوغ سن 25 سنة يبدأ والداه التفكير في إيجاد زوجة مناسبة له، وهي عملية تستغرق في المتوسط 3 سنوات.

- نتيجة الهجرة الداخلية والاحتكاك بسكان المناطق الحضرية طلباً للعلم والعمل، وتغير نمط الأسرة باتجاه النووية، أصبح الطوارق أكثر ميلاً للفردية والاستقلال الاقتصادي والتحرر من سلطة القبيلة مقابل الخضوع لمؤسسات الضبط الاجتماعي الرسمية خاصة في المناطق الحضرية.

2. دراسة (أبو دياك، 1996) الطوارق، سلالاتهم، تنظيماتهم، أنماط عيشهم، وهي عبارة عن دراسة تاريخية حول الطوارق ومن ابرز نتائجها:

- الطوارق يعيشون حياة الترحال والتنقل بالمواشي التي تعد أهم موارد عيشهم ويمارس بعضهم الزراعة والتجارة إلى جانب الرعي.
- يسميهم ابن خلدون بصنهاجة الملثمون ويصفهم بأنهم اتخذوا اللثام خطاماً وشعاراً يميزهم عن الأمم، ويرجع البعض أصولهم إلى العرب بسبب تسمية الهجار التي تطلق على بعضهم بسبب كثرة ارتحالهم واعتمادهم على البعير في ذلك كونه، باعتبار الهجر

في لغة حمير تعني القرية، والهجار حبل يشد به رسغ رجل البعير ثم يشد إلى حقوه، ويرى ابن بطوطة بأنهم بربر من سكان الصحراء.

- للثام أهمية خاصة عندهم كرمز ارستقراطي وشعار اعتزاز وافتخار لهم.
- تتمتع المرأة عندهم بمركز اجتماعي هام، حيث تشارك في جميع أمور الحياة العامة، وتملك الثروات، ويعد ابن الأخت أكثر ثقة عندهم من الابن نفسه لقوة علاقة الأخ بأخته دون زوجته، وطفل الطوارق يرث الجاه والثروة عن أمه سواء كانت من نفس عشيرة أبيه أم لا.
- يمتاز تنظيمهم الاجتماعي بالثقة المتبادلة والطاعة التامة لقادتهم والذين يتم اختيارهم بنوع من الديمقراطية ويسود بينهم التضامن والتكافل لدرجة أن العبد إذا اعتق لا يفارق سيده.
- طبقة السادة عندهم تسمى ايهقارن، وطبقة العامة تسمى ايمراد، بالإضافة لطبقة العبيد والخدم والتي لا يرتدي إفراده اللثام في العادة.
- أطفال التوارك يعيشون في حضن الجماعة التي يختار الأبوان الانتماء إليها بصفة دائمة، والأرملة وأطفالها غير المتزوجين يعيشون في كنف خالهم، ومتى كان أحدهم متزوجاً عاشت أمه وأخوته معه.
- العادة عندهم أن يتزوج الرجل بواحدة، ونادراً ما يقع الطلاق عندهم، وأعرافهم وتقاليدهم تمنح العروس الحق في أن تحتفظ لنفسها بما لها وبكل ما تملكه، بما فيها الماشية، وذلك في الوقت الذي يتولى الرجل الإنفاق عليها، ويدفع تكاليف الزواج وقد تشاركه في ذلك إذا أرادت، والميراث عندهم وفق الشريعة الإسلامية للذكر مثل حظ الأنثيين.
- النظام السائد في الهجار نظام ديمقراطي رغم أنه يبدو في مظهره نظاماً طبقياً، وهو مختلف عن نظام الإقطاع الذي ساد أوروبا في القرون الوسطى وإنما فرضته اعتبارات الحياة اليومية.

3. دراسة (نفيدسة،2004) والتي بعنوان العلاقة بين النسق القيمي والدور الاجتماعي للمرأة التارقية بمدينة تمراست الجزائرية ، على عينة من 300 مفردة من نساء المدينة وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي واستمارة المقابلة لجمع بياناتها وقد توصلت للنتائج الآتية:

- يقوم نمط المعيشة في مجتمع الطوارق على أساس تربية المواشي والرعي والترحال تلاؤماً مع البيئة الصحراوية، وظروفها القاسية التي تتطلب أحياناً غياب الزوج أو الأب أو الأخ لفترات قد تصل لشهور بسبب الترحال والإغارة والتجارة والسفر بالقوافل تحمل المرأة لمسؤولياتها في تأمين معيشتها ومعيشة أبنائها.
- يعتبر بناء مجتمع الطوارق بناء تقليدي محدود الأدوار حيث الأدوار العائلية والأدوار المتصلة بالزرع والرعي والصيد والأدوار المتعلقة بالتدريس وتعلم القران الكريم، وغالباً ما تكون ربة البيت عندهم مشرفة على أملاك الأسرة وتشارك في تنظيم الحفلات السنوية والطقوس العشائرية الخاصة بالتراث.
- هناك استقرار للبنيات الاجتماعية ومقاومة ومعارضة للتطورات في توزيع الأدوار خاصة في الريف مقارنة بالمدن.
- توجد علاقة بين النسق القيمي والدور الاجتماعي للمرأة التارقية، وتتركز العلاقة في القيمة الدينية مقارنة بالقيم الاجتماعية والاقتصادية والجمالية والنظرية والسياسية.
- لا توجد فروق دالة إحصائياً لدى عينة الدراسة وفقاً لمتغير المنطقة السكنية، مقابل وجود فروق في القيمة الدينية والسياسية وفقاً لمتغيري المستوى التعليمي والعمر وعدم وجود فروق في القيمة الاجتماعية والاقتصادية والنظرية والجمالية.
- توجد فروق دالة إحصائيا لدى عينة الدراسة في الدور الاجتماعي وفقاً لمتغيري العمر المنطقة السكنية، مقابل عدم وجود فروق وفقاً لمتغير المستوى التعليمي.
- وقد تم تفسير هذه النتائج من خلال الثقافة الفرعية الموحدة للمجتمع التارقي المتمثلة بتشابه أنماط التنشئة الاجتماعية والمعتقدات ونمط المعيشة والطبيعة القاسية لمنطقة الدراسة.(نفيدسة: 2007)

4. دراسة (سبايو،2009) الجامعيون الطوارق نحو تكريس المؤسسات التقليدية أو إصلاحها على 200 من الطلبة الجامعيين الطوارق بجامعات الجزائر بمدينة جانيت وضواحيها من الجنسين في محاولة لقياس دور التعليم الجامعي واحتكاكهم بثقافات جديدة في تغير ثقافتهم المحلية، وقد أشارت الدراسة لعدد من النتائج أهمها:

- يتوزع الطوارق على خمسة بلدان أفريقية وينقسمون لقسمين طوارق الشمال وهم المتواجدون ببلدان شمال أفريقيا (الجزائر وليبيا) وطوارق الجنوب وهم سكان بلدان الساحل الأفريقي (مالي والنيجر وبوركينا فاسو).
- التراتبية الواضحة لتجمعات وقبائل الطوارق، كقبائل غير متكافئة تربطها علاقات خضوع وتبعية لها ميزاتها في مجتمع الطوارق، كما أن القول بتعدد بنيات المجتمع يفرض نفسه على الباحثين فمن الناحية الشكلية نجد النبلاء في قمة الهرم الاجتماعي ثم

التابعين ثم العبيد والحرفيين، وكل مجتمع من مجتمعات الطوارق يعطينا نظاماً اجتماعياً تراتبياً مغايراً في عمقه للأخر، فتظهر عند بعضهم طبقة الأشراف المرتبطة بالنبلاء، وتظهر في تجمعات أخرى طبقة التابعين من مربي الماعز مقابل أصحاب الجاه وهم مربي الإبل.

- تتأسس الجماعات والقبائل عند الطوارق على أصول النساء إذ أن المجتمع يولي أهمية للبطن عوضا الظهر، أي للقرابة الرحمية على قرابة العصب، ومع هذا لا يمكن الفصل نهائياً في نظام سيادة الأم في بلاد الطوارق.
- يُعزى التغير في مجتمعات الطوارق لعاملين الاستعمار واستقلال الدول وما نتج عن تشكل الدولة الوطنية، فبقدر ما حاولت مجتمعات دمجهم كالجزائر، سعت أخرى إلى تهميشهم وتعميق الهوة بين الطوارق.
- يعيش مجتمع الطوارق على وقع التغيرات الكبرى في العالم العربي والإسلامي فموجات الأسلمة القادمة من فزان في القرن السابع وإبان حركة المرابطين، كما ألغيت بعض الطقوس والاحتفالات أبان مجازر غزة.
- يمكن تلخيص اثأر التعليم الجامعي على الطوارق من الذكور والإناث في:

. ظهور جانب من العنف وإصلاح الدين في مجتمعات الطوارق بسبب اختلاط منظومات القيم بين سكان الشمال الجزائري من غير الطوارق والطوارق من الجنوب عبر العمل والعلاقات المختلفة.

. الرجال الجامعيون من الطوارق يفضلون حرية نساء الشمال، فيما تفضل الجامعيات الجنوب لما يمنحه المجتمع التقليدي من امتيازات وحماية.

. كثرة الوكالات السياحية التي يسيرها الجامعيون من الطوارق، ممن يبدون عزوفاً عن الممارسات التقليدية إلا أنهم مرغمون على تقديمها كمنتج يقبل السواح على استهلاكه بكل انبهار.

. لم تستفد الجامعيات الطوارق من التعليم الجامعي في تشكيل قوة فاعلة ومؤثرة في المجتمع، فعوضاً عن يضيف مركزية للمرأة التي سندتها المؤسسات التقليدية، افقدها فاعليتها وجعلها قابعة في الوظيفة.

. بالرغم من أن نظام الانتساب لقبيلة إلام هو السائد بين الطوارق في منطقة الدراسة بسبب ارتباطها بالزراعة منذ القدم، إلا أن هناك محاولات من المتعلمين الجدد المتأثرين بتعاليم الإسلام لإيجاد مساحات لسلطة أبوية أكثر وتعديل بعض السلوكيات المتعلقة بحبس بعض الخيرات عن النساء وسفورهن واختلاطهن ومشاركتهن في الطقوس والاحتفالات.

. الشابات الجامعيات أكثر انفتاحا على الآخر وأكثر اندماجاً في المجتمع الذي يستقبلهن، وهذا امتداد لتقاليد النساء في مجتمع الطوارق لم يحدث وأن تغير بفعل التعليم الجامعي، وتبقى مؤسسة الزواج بشكله التقليدي محل إجماع الجامعيين من الجنسين مع انتقاد بعض مظاهر الإنفاق فيه.

. وبالمحصلة يرى الجامعيون أنهم ضحايا مؤامرة التقليديين ممن لا يريدون للمجتمع أن يتغير نحو الأمام لإبقاء الوضع على ما هو عليه، وبأن ظلال الجدات تشكل أشباحا لا تفارق مخيلة الأبناء.

5. دراسة (حينوني، 2011)، بعنوان الكلمة والنغم والحركة وسيادة المرأة التارقية وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- يضع المجتمع التارقي المرأة في مكانة متميزة فالانتساب والقرابة والجاه تكون من جهة الأم، بينما التعريف بالشخص فقط ينسب للأب.
- يتميز الرجل التارقي باللثام الذي لا يظهر منه سوى العينين بينما المرأة مسفرة الوجه ولها حرية تامة في اختيار الزوج.
- في ظل تقسيم طبقي تنصرف المرأة إلى الراحة والاطلاع، تاركة الأعمال للجواري والخدم.
- للمرأة التارقية ولع الفنون على مختلف أشكالها، من صناعة المنسوجات والحلي إلى الموسيقى والعزف، ورواية الشعر والرقص والغناء في المناسبات المختلفة وعليه فهي القائمة على حفظ التراث واستمراريته.
- من أشهر الآلات الموسيقية عند التوارق الإمزاد وهي آلة تشبه الربابة العربية، والتيندي وهو طبل ضخم يصنع من إطار خشبي ويغطى بجلد الماعز الطري، وتهيقالت وهي تشبه التيندي وتستخدمها العازبات أكثر من غيرهن، ومن أشهر رقصات التوارق رقصة الحناجر التي يصاحبها إصدار أصوات من الحناجر ويرقصها الرجال في العادة.

6. دراسة (ولد النقرة، 2014)، والتي تحمل عنوان الطوارق من الهوية للقضية والتي نشرها المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الإستراتيجية وقد توصلت الدراسة لعدد من النتائج نذكر منها:

- أقدم أشارة تاريخية إلى الطوارق وأسلافهم هي تلك التي وردت على لسان المؤرخ الإغريقي هيرودوت عندما زار ليبيا وتحول إلى واحة فزان في القرن الخامس قبل الميلاد وتحدث عن شعب القارامانت والذي يعتبره بعض المؤرخين الأسلاف الحقيقيين للطوارق.
- هناك أربعة روايات تاريخية حول أصول الطوارق وهي : أنهم من أصول صنهاجية عربية وهي راوية بن خلدون والسعدي وغيرهم، وأنهم من أصول أمازيغية بربرية وهي رواية المؤرخان وعالما الآثار بوفيل وألوت ، وفريق ثالث يرى أن الطوارق هم أحفاد الجر منت أو الكار مانت الذين تحدث عنهم هيرودوت المختلف في أصولهم بين العربية والأوروبية بحسب المؤرخ بليني والروائي

الليبي من أصول طوارقية إبراهيم الكوني، أما الفريق الرابع فيذهب إلى أن الطوارق هم الطوارق ويرجح انتماء الطوارق إلى الأمة الإسلامية وهو الإطار الذي أسهم الطوارق إلى جانب إخوانهم من العرب والامازيغ والزنوج في بناء نسقه المعرفي والمادي.

- يتميز الطوارق بتاريخ سياسي وثقافي وحضاري وتراث فكري ومعماري ضارب في القدم يمتزج فيه العرب والامازيغ والزنوج في ظل الانتشار الإسلامي في الشمال والغرب الإفريقيين.
- المجتمع الطارقي مجتمع قبلي قلباً وقالباً حيث تشكل القبيلة لا الدولة الرابطة الأقوى الذي تنحل فيه كل ولاءات الإفراد ومظاهر التبعية والانقياد لديهم.
- هيمنت المرأة الطارقية بسبب غياب الرجال للتكسب والذي قد يمتد لفترات طويلة على الشؤون كلها، حيث امتلكت حق تطليق الزوج في بعض حقب تاريخ الطوارق وأتاح لها العرف المجتمعي حق اختيار الزوج ورفض من يتقدم لخطبتها دون ضغوط أو اكراهات من الأهل، ويعتبر احترام الطارقي لزوجته من أقدس الواجبات الاجتماعية.
- ينقسم مجتمع الطوارق لطبقات اجتماعية تختلف من مجتمع لأخر ولكن ابرز هذه الطبقات هي طبقة الايموهار أو النبلاء واليها ينتسب زعيم القبيلة، وطبقة العلماء والفقهاء وطبقة الأحرار وطبقة الاتباع وطبقة الحرفيين وطبقة العبيد وتكون عادة من الزنوج.
- من ابرز ما يميز الطارقي ذاك اللثام الذي يتجاوز طوله أحيانا اثنتا عشر متراً من القماش يلف به رأسه ورقبته ووجهه كله ماعدا العينين.
- أما نسائهم فزيهن الأساسي الملحفة التي يبدو منها الرأس والجيد من اليدين في حالة سفور وربما غطت رأسها بوشاح وتلبس تحت الملحفة أزارا ومنهن من تلبس درعا واسعاً يمتد من الرأس إلى أسفل الركبتين وتحته أزار كذلك.
- ويمتاز الطوارق بالشجاعة وتقاليد الفروسية النبيلة عند مقابلة الأعداء، فهم يفضلون الموت على الفرار، ولا يطعنون أعدائهم من الخلف ولا يسممون سهامهم ورماحهم.

7. دراسة (صالح ،2016)، والتي بعنوان فاعلية المرأة الطوارقية في الراوية الليبية " إبراهيم الكوني نموذجا"، وتنتمي الدراسة إلى ما يعرف بسيسيولوجيا الأدب من خلال الكشف عن الجوانب الاجتماعية والسياسية التي تحفل بها النصوص الأدبية، وقد كشفت الدراسة عن عدد من السمات التي تميز المرأة الطوارقية كما تفهم من خلال النتاج الروائي للكوني يمكن تلخيص أهمها فيما يأتي:

- الإسهام الفاعل في مختلف الأنشطة العامة والمناسبات الاجتماعية في المجتمع الطوارقي فهي حاضرة حتى في مواكب الجنائز ورسوم الموتى والمشاركة في الدفن، بالإضافة اهتمامات الحياتية المختلفة من تدبير المنزل وما يرتبط به.

- تعد المرأة الطوارقية لسان حال القبيلة وعامل استقرارها فقدرتها وتفننها في التمائم وقول الشعر عن البيئة الصحراوية، وخاصة العجائز منهن.
- الصبر والتحمل والتريث وطول البال صفات ملازمة للمرأة الطوارقية.
- مزاولتها لبعض المهن كالتطبيب بالأعشاب، فهي تتقن العلاج بالأعشاب والمراهم الشعبية ومن صفاتها الجمالية الطول الفارع وإجادة اللغة والشعر.
- لها دور بارز في توحيد القبائل عبر المصاهرات وفي نمط العلاقات الاجتماعية بينها ، فالكثير من الرجال يحذر لسانها وشعرها وما له من تأثير على مكانته الاجتماعية بالمدح أو الهجاء، ولمكانتها الاجتماعية وفاعليتها يسعي الرجال لنيل إعجابها وكسب رضاها.
- تعتبر المرأة جزء هام في المنظومة السياسية لمجتمع الطوارق السياسي فلها رأيها السياسي فيمن يمثل القبيلة وهرمها السلطوي الأعلى، ووعيها السياسي المعتبر في حامي القبيلة وشيخها، وهو رأي ينم عن رجاحة وتنوير عقلي بالإضافة لشجاعتها كمحاربة ومدافعة عن القبيلة عند الضرورة.
- من أهم عوامل فاعلية المرأة في هذه المجتمعات تقدير المجتمع لها والمكانة المميزة التي تتمتع بها ، وفطنتها وذكائها ووعيها وإلمامها بجملة من الضرورات الحياتية على مختلف الأصعدة، بالإضافة لطبيعة البيئة ودور في تحقيق التقارب والتكامل الحياتي بينها وبين الرجل.

ثالثاً: مناقشة الدراسات السابقة:

بعد هذا العرض لأبرز الدراسات التي توفرت للباحث حول الطوارق ومكانة المرأة في مجتمعاتهم، بحسب جهده في البحث ووقته المتاح لإنجاز هذا البحث يمكن الوصول إلى عدد من الملاحظات والتعقيبات حول هذه الدراسات يمكن تلخيصها فيما يأتي:

1. معظم الدراسات دراسات وصفية تاريخية عامة، وجلها لم تنطلق من تصور نظري بمعنى نظرية تفسر مكانة المرأة في مجتمع الطوارق.

2. دراستان فقط تضمنتا عينات ولكنهما لم يقدما نتائج تختلف كثيراً عن باقي الدراسات، كما أن تحليلهما لإجابات عينات الدراسة كان تحليلاً سطحياً لم يستغل البيانات المجمعة بشكل أكثر عمقاً، واكتفت بوصفها دون تفسير أسباب ظهورها بهذا الشكل اعتماداً على فهم مجتمع الدراسة.

3. بالرغم من أن الدراسات تركز على مجتمعات الطوارق في دول مختلفة، هي الجزائر ومالي وموريتانيا وليبيا إلا أنها اتفقت في النتائج الآتية:

. نمط الإنتاج والمعيشة السائد عند معظم الطوارق هو نمط رعوي قائم في الغالب على الترحال وتربية الماشية.

. مجتمع الطوارق مجتمع قبلي تمثل فيه القبيلة لا الدولة الرابطة الأساسية بالنسبة للأفراد في علاقات الخضوع والتبعية، وتعتبر الأسرة والأم بشكل خاص أساس القبيلة والانتماء لها.

. مجتمع الطوارق مجتمع طبقي يضم على الأقل ثلاثة طبقات هي النبلاء والاتباع والعبيد، بالرغم من أن بعض مجتمعات الطوارق ربما تضم طبقات أخرى تتدرج اجتماعيا داخل كل طبقة، إلا أن مظاهر التضامن والتكافل هي السائدة بين أفرادها.

. تتمتع المرأة الطوارقية بمكانة اجتماعية متميزة ولها ثقل اقتصادي وسياسي وثقافي مهم ، ومشاركة فاعلة في أنشطة المجتمع المختلفة، فلها حق التملك ويرث الابن الجاه والثروة من أمه وينتسب لقبيلتها، ولعل من مؤشرات هذه المشاركة في زمننا الحاضر هو أن " منطقة أوباري الليبية التي يقطنها الطوارق هي الدائرة الوحيدة التي تجاوزت فيها نسبة النساء اللائي شاركن في عملية التصويت نسبة الرجال في انتخابات ليبيا 2012، وهو ما أرجعه الباحثون للموروث الاجتماعي والثقافي للطوارق والذي تحظى فيه المرأة بمكانة اجتماعية متميزة تسمح لها بالمشاركة الفاعلة في مختلف الأنشطة العامة في مجتمعها " (خشيم : 2012).

. يشترك رجال الطوارق في وضع اللثام "الذي يتدلى من على قنطرة الأنف وحتى أسفل الذقن ويطلق على اللثام بلهجة الطوارق لفظ تيجلموس وهو يعتبر قطعة زي مميزة وهامة جداً بالنسبة للطوارق، ويعمل اللثام على إخفاء الوجه لأن كشف الوجه يتضمن انتهاكاً للقانون الأخلاقي عندهم ، كما أنه يشير إلى تدني المكانة الاجتماعية للفرد، إذ أن عدم ارتداء اللثام يشير إلى مكانة دنيا في مجتمع الطوارق ، فالأفراد الذين لا يرتدونه إما أنهم ينتمون لقبائل الرقيق أو كانوا من طبقة العبيد، لما لهذا اللباس من دلالة اجتماعية تعكس مركز الفرد في التدرج الاجتماعي لهذه القبائل التي تعيش في جنوب الجزائر والأجزاء الجنوبية من مالي والنيجر وامتدادها في الأراضي الليبية وهي تعيش في بيئات صحراوية تعتمد فيها على رعي قطعان الجمال والماعز والأغنام وتمارس حياة التنقل والترحال" (غامري: د.ت)

. الموروث الثقافي التقليدي المستعصي على التغيير في مجتمع الطوارق في الكثير من جوانبه، خاصة المتعلقة بمكانة المرأة في المجتمع والتدرج الاجتماعي ووجود طبقة العبيد (الرقيق) بينهم ، بالرغم من عوامل التعليم والاحتكاك بالمراكز الحضرية بالإضافة لظهور

بعض التوجهات الإسلامية التي تنتقد ذلك من أبناء الطوارق، وبدايات ظهور نمط زراعي وتجاري محدود وعمل بالسياحة الصحراوية بين أبناء الطوارق الذي بدأ بعضهم يسكن القرى المستقرة نوعاً ما والقريبة من المراكز الحضرية.

. الاختلاف في المسميات التي تطلق على الطوارق من دولة لأخرى، مثل الطوارق والتوارق والتوارك والملثمون، ورجال الصحراء، والرجال الزرق، أما الأصول التي ينحدرون منها فهم خليط من العرب والامازيغ والزنوج، يدين اغلبهم بالإسلام ، لهم تراثهم وفنونهم ولهجاتهم ولباسهم التي تميزهم عن غيرهم.

رابعاً: محاولة تفسير هذه النتائج في ضوء نظرية ماركس:

في ضوء العرض السابق لمجتمعات الطوارق، والنقاط المشتركة بين هذه المجتمعات، سنحاول في هذا الجزء محاولة تفسير مكانة المرأة في هذه المجتمعات في ضوء نظرية كارل ماركس حول الأساس الاقتصادي للمجتمع وعلاقته بظهور تشكيلة اجتماعية ومنظومة قيمية تتوافق معه، من خلال النقاط الآتية:

1. علاقات إنتاج اجتماعية قائمة على ملكية الماشية ورعيها في الغالب، بمعنى هناك من يملك وهناك من لا يملك وسائل أو أدوات الإنتاج الماشية وهم في الغالب طبقة العبيد أو الخدم في هذه المجتمعات، وهذه الطبقة لا تضم النساء في مجتمعات الطوارق كما يفهم من الدراسات حولهم.

2. طبقة الملاك تضم الرجال والنساء، وباعتبار الرجال في الغالب في مجتمعات الطوارق هم من يخرج للكسب والبحث عن مراعي خصبة لقطعان الماشية ومصادر جديدة للمياه، تمتد لفترات زمنية تقصر أو تطول يكونون فيها غالباً عرضة للغياب لفترات طويلة أو للموت، مما يستدعي بقاء شخص يشرف على هذه القطعان ويتولى التدبير المنزلي والإنفاق على من يعولهم الرجل إثناء غيابه، وهو ما تقوم به المرأة عند الطوارق في أغلب الأحيان، وحرصاً على ضمان حياة أفضل للأبناء في المستقبل، والذين يرثون الثروة والجاه من الأم وينتسبون لقبيلتها عند أغلب قبائل الطوارق، فإن الأم الغنية في الغالب ستكون أكثر قدرة على ضمان هذا المستقبل.

3. باعتبار الأنفاق على الأسرة عند الطوارق مسؤولية الرجل، والذي يتم في الغالب من الماشية، وبالتالي فتناقص حصته في الماشية يقابله في العادة زيادة لحصة الزوجة التي لا تنفق، وفي كلا الحالتين تزداد ثروة الزوجة مقابل تناقص ثروة الزوج، والذي يعتبر ثروة الزوجة هي في المستقبل لأبنائه، فإن هذا ربما يجعل رجال الطوارق يميلون إلى تعظيم مكانة المرأة وتقديرها في ظل القوة المادية التي تمتلكها من جهة وحرصاً على ضمان وضع اقتصادي أفضل لهم ولأبنائهم في المستقبل، فحالات الطلاق أو الانفصال نادراً

ما تحدث عندهم وتكون برغبة الزوجة، أو موت الزوج بسبب الإخطار المحدقة به في ظل رحلات التكسب والبحث عن الماء والكلأ لقطعانه.

4. وعليه فإن القوة المادية المتمثلة في الملكية للمرأة في مجتمعات الطوارق والتي تعكسها أعداد الماشية، تجعل المرأة تشعر بنوع من الاستقلال الاقتصادي عن الرجل، وتحررها من شعور التبعية والخضوع للرجل القائم في الغالب على عامل الأمان الاقتصادي سمح للمرأة في تلك المجتمعات بنوع من المشاركة الفاعلة في مختلف أنشطة المجتمع الاجتماعية والثقافية.

5. من جهة أخرى باعتبار هذه المجتمعات بيئات صحراوية لم يظهر فيها نمط إنتاج زراعي يسمح بنوع من الاستقرار، وربما ظهور ملكية خاصة لوسائل إنتاج أخرى تسمح للرجل بالاستقرار المكاني وتعزز قوته المادية، يجعل القوة المادية للمرأة في تلك المجتمعات في تزايد.

6. عامل التكنولوجيا أو تطور قوى الإنتاج في تلك البيئات محدود ولا يؤثر في أدوات ووسائل الإنتاج (الماشية) وهو ما يجعل نمط الإنتاج الرعوي السائد وما ينتج عنه من علاقات إنتاج وملكية ينتج تشكيل اجتماعي مثل السائد في مجتمعات الطوارق يعزز مكانة المرأة وثقلها السياسي والاجتماعي والثقافي القائم أساسا على العامل الاقتصادي يضمن صيرورة الحياة في حالات غياب الرجل المحتمل والمفاجئ، من جهة ويضمن مستقبل اقتصادي للأبناء الذين يرثون ذلك عن أمهاتهم من جهة أخرى.

7. تقبل مجتمع الطوارق لهذه التشكيلة الاجتماعية وسعي النساء للمحافظة على ثقلهن المادي ومكانتهن الاجتماعية، يجعل عوامل التعليم والاحتكاك بالمجتمعات الأخرى خاصة المراكز الحضرية، وبعض التوجهات الفكرية التي تعارض ذلك من أبناء الطوارق لا تنجح في إحداث تغيرات جذرية في المجتمع.

8. ومن الممكن أن ظهور نمط إنتاج زراعي مستقر، وقواعد للملكية الخاصة ترتكز على وسائل وأدوات إنتاج كالأرض والمحراث، تتطور مع التقدم التكنولوجي ربما يسمح بحدوث تغيرات في التشكيلة الاجتماعية في مجتمعات الطوارق بما تتضمنه من قيم ومعتقدات وممارسات مختلفة.

9. تبقى الإشارة إلى أن بعض الطوارق وفي ليبيا بالتحديد أصبح اليوم يمتلك سيارة وهي في الغالب ذات دفع رباعي، ويعمل كخبير في طرق الصحراء أو دليل سياحي لبعض الأجانب الذين يرتادون مناطق الطوارق بين الفينة والأخرى، إلا أن عامل الاستقرار في المناطق الصحراوية لايزال ضعيفاً فمن يمتلكون السيارات أو يعملون في التجارة والسياحة في مناطق الطوارق هم من سكان القرى والمدن مثل غدامس أوغات أو اوباري أو سبها، وربما تكون الأوضاع غير المستقرة في ليبيا وتواجد بعض الجماعات

المسلحة المتطرفة التي تنشط في الجنوب الليبي وفي مناطق الطوارق، يجعل عامل التهديد على الحياة بالنسبة لرجال الطوارق أكثر في تلك المناطق، وهوما يعيق أن تحدث مثل هذه التطورات تغيرات جذرية في مجتمعاتهم، وهو ما كشفت عنه " الاشتباكات التي اندلعت بين قبائل الطوارق وقبيلة التبو في منطقة الطيوري في سبها في 19 تموز/يوليو من سنة "2015.(القلال:2016).

10. من جهة أخرى تنشط المرأة في مجتمعات الطوارق في مجالات حفظ التراث الثقافي ونقله لا بناءها، ربما بحكم أن أعمارهن أطول من أعمار الرجال بحكم أن الإخطار التي تهدد حياة رجال الطوارق كما نوهنا في موضع سابق من البحث.

11. أخيراً تبقى تفسيراتنا النظرية بحاجة لدراسات انثروبولوجية أكثر تعمقاً وبمنهجيات أكثر تخصصاً لمجتمعات أو تجمعات الطوارق لتوفير إحصاءات وبيانات تفصيلية حولهم تركز على تقسيم الملكية والثروة بين الرجال والنساء عندهم، ومستوياتهم التعليمية وأنماط حياتهم وطرق معيشتهم والصفات الديموغرافية والبيولوجية لهم، وتقسيماتهم الاجتماعية والتغيرات التي تشهدها مجتمعاتهم، وهو ما تعوزه كل الدول التي يتواجد بها الطوارق، كما بدا واضحا في الدراسات المتوفرة عنهم، ولعل هذه النقطة هي ابرز توصيات بحثنا هذا.

The Woman's Status in Al-Twariq Societies in The Light of TheHistorical Materialist

Abstract: This paper aims to explain the status of woman in Al-Twariq societies through a specific point of view which is the historical materialist theory. This theory connects the dominant mode of production and its relation with the developmental level of the production forces and its role in the emergence of social formation including the cultural heritage. Also it aims to answer the main research paper question which is there any relation between the dominant mode of production including its relations in Al-Twariq societies and the woman's status there? The current study revealed that since these societies are considered as desert environments don't contain any agricultural production pattern which guarantees a kind of stability or maybe because there are other production means that are controlled by man the matter that gives him a kind of more spatial stability and enhances his power there which in turns increases the woman's physical strength in these societies and guarantees for her a feeling of economic independence that is separated from the man giving her an effective role to participate in all the cultural and social community's activities.

قائمة المراجع:

- بوتول، جاستون ، **تاريخ علم الاجتماع**، ترجمة غنيم عبدون، مطابع الدار القومية، مصر، د.ت.
- توشار، جان (2010)، **تاريخ الأفكار السياسية**، ترجمة ناجي الدراوشة، دار التكوين، دمشق.
- جونز، فليب(2010)، **النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية**، ترجمة محمد الخواجة، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- ريوس، أدريو(2001)، **أقدم لك ماركس**، ترجمة إمام عبد الفتاح، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

- غامري ،محمد ، **طريقة الدراسة الأنثروبولوجية الميدانية** ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

- غيدنز، أنطوني ، **الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة**، ترجمة أديب شيش، الهيئة العامة للكتاب السوري، دمشق، د. ت.

- القلال، هناء (2016)، ليبيا من الثورة إلى الأزمة، منشورات مركز الدراسات الإستراتيجية، الجامعة الأردنية، عمان.

- كامنكا، أوجين (2011)، **الأسس الأخلاقية للماركسية**، ترجمة مجاهد عبد المنعم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011،

- لوفيفر، هنري (2018)،**المادية الجدلية**، ترجمة إبراهيم فتحي، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة.

- والاس، رث ، وولف أليسون(2011) ، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، ترجمة محمد الحوراني، دار مجدلاوي، عمان،

- ولد النقرة، أكنانه (2014)، الطوارق من الهوية إلى القضية، المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الإستراتيجية، نواكشوط.

المجلات والدوريات:

- أبودياك، صالح(1996)، **التوارق – سلالاتهم– تنظيماتهم– عاداتهم – أنماط معيشتهم**، مجلة مؤته للبحوث والدراسات، مجلد 11، عدد2، الأردن.

- حينوني، رمضان(2011)، **الكلمة والنغم والحركة وسيادة المرأة التارقية**، مجلة حوليات التراث، العدد 11، الجزائر.

- خشيم، مصطفى عبد الله (2012)، **انتخابات المؤتمر الوطني، مسار التحول الديمقراطي**، مجلة المستقبل العربي، المجلد35،العدد 406، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ديسمبر.

- سبابو، مريم(2009)، **الجامعيون الطوارق نحو تكريس المؤسسات التقليدية أم إصلاحها**، بحث مقدم للمؤتمر الإقليمي العربي للتعليم العالي في القاهرة، والذي نظمه مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، بيروت.

- السويدي،محمد (1995)، **بناء الأسرة عند بدو الطوارق**، مجلة الانترنت والحياة، المجلد 14، العدد 151، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

- صالح، خالد(2016)، **فاعلية المرأة الطوارقية في الروايات الليبية" إبراهيم الكوني نموذجا**" ، مجلة التربوي ، العدد9، جامعة المرقب، ليبيا.

الانترنت:

- نفيدسة، فاطمة(2007)، **العلاقة بين النسق القيمي والدور الاجتماعي لدى المرأة الطارقية**، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، رسالة ماجستير منشورة على الانترنت على الرابط:httP://dspace.univ – ouargla.dz